المحاضرة السادسة : الاتجاه الوصفي

تتعدد مفاهيم الزمن تبعاً لمجالات تناوله. فإلى جانب الزمان الطبيعي او الموضوعي او الخارجي والذي يمكن ادراكه وقياسه بسهولة ، هناك زمن اخر داخلي ، غير ميقاتي ، وغير خاضع للقياس ، هو ما يطلق عليه بـ ((الزمن الذاتي الداخلي او الزمن النفسي))

.

ورد القديس اوغسطين ((الانات الثلاثة ، الماضي والحاضر والمستقبل ، الى أحوال النفس الإنسانية ، الذاكرة للماضي ، والانتباه للحاضر، والتوقع للمستقبل والزمان عنده لا يقوم الا بالنفس الإنسانية)) [1] ، أي ان الإنسان لا يدرك الزمن وانما يدرك الحالة النفسية للماضي والحاضر والمستقبل . ان الشعور بالقلق والاضطراب والاغتراب، له الاثر الفاعل في توجيه نظر الشاعر الى الوجود المرتبط بالزمن ، من هنا فان الشعور بالزمن هو شعور بالقلق والاضطراب والاغتراب [2].

ان الزمن النفسي زمن يتلون بنسيج التجربة الإنسانية ، ولعل هذا الزمن الذي يدركه الإنسان بأحاسيسه هو الزمن الحقيقي و ((اذا كان الزمن يمثل بحد ذاته حقيقة يعكسها واقع حصول الأحداث ، فان الإحساس به هو الذي يجسد التفاعل بين حقيقة وجوده والعامل الإنساني ، وانعدام هذا الإحساس لابد ان يعني حالة انقطاع وهي حالة مرادفة لغياب التمييز بين الحياة وعدمها)) [3].

ان الزمن النفسي زمن إنساني ، لانه يحمل في ثنائيته ما تحمله ثنائية الحياة

---

1. الموسوعة الفلسفية، د.عبدالرحمن بدوي، ص557.
2. تأثير الزمن في الوجدان وعلاقته بثنائية الحياة والموت، د.عبدالكريم راضي جعفر، ص46،مجلة الاديب ،ع1 ،1993.
3. الزمن وحركة الحياة، د. باسل البستاني، ص60،مجلة آفاق عربية ،بغداد ع12 ، 1987 م.

والموت ، التفاؤل والأمل ، التشاؤم واليأس ، وبهذه المعادلة الجدلية ، تكون الذات في علاقة ثنائية مع الزمن ، فهي زمانية ايجابية ما دامت تحقق وجودها في الزمن من ناحية وزمانية سلبية وهي تنظر إليه نظرة حذر وترقب وخيفة ، بوصف الزمن أداة لتغيير الأشياء من ناحية أخرى [1] ومن هناك نستطيع القول ... ان وجودنا يزداد ثراءً ، وامتلاءً كلما توغل بنا الزمن وكلما تدفق ، وغاص في مجرى شعورنا ((فحركة الزمن إنما تمثل حركة شعورنا التي لا تخضع للتعريف، او التحديد ، إنها تمثل حركة الأحداث التي تؤثر فينا ، وتدمغنا بالتغيير والصيرورة ، فنحن نحس إحساساً غامضاً بأننا الآن غير ما كنا عليه ، وإننا اليوم نختلف عن الأمس)) [2]

كما ان ((خبراتنا الخاصة تشكل إحساساً ضعيفاً لقياس الزمن بموضوعيته فهو تارة يمر بسرعة وطوراً ببطء ، ونحن تارة نعي في عمق كل ثانية تدق وطوراً يبدو علينا النسيان التام او اللاوعي بمرور الزمن)) [3]

لذا نجد إن القلق يبدأ غزوه لنا ما يجعلنا نشعر بالزمن يتباطأ قليلاً حتى لا نكاد نشعر به يمر ، وإذا زاد القلق وبلغ أوجه شعرنا بان الزمان قد وقف نهائياً وهذا الشعور بوقوف الزمان هو الشعور بـ ((الآن)) [4] ان الشعور والحالة هذه يجعل الإنسان قلقاً حيال مستقبله ، لذلك نراه يتشبث بالحاضر ((انه الزمن الذي يضرب علينا حصاراً محكماً ، ويغلق أمامنا منافذ المستقبل ،

---

1. ينظر تاثير الزمن في الوجدان وعلاقته بثنائية الحياة والموت ،ص46.
2. الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة : سعد عبد العزيز ص35.
3. الزمن في الأدب ، هانز ميرهوف، ص18.
4. الزمان الوجودي ، ص174.

فهو يفرض علينا التوقف وعدم التشوق الى شيء في المستقبل))[1]

فالزمن الداخلي (النفسي) هو الذي يثير قلقنا وتوترنا ، ويجعلنا ننفعل بإيقاعه الذي قد يبدو بطيئاً، خافتاً ، حيناً ، وقد يزداد وقعه حدة وعنفاً حيناً آخر، وهنا نتحول – في ضوء الزمن– الى حالات شعورية يمكن تفسيرها تفسيراً كيفياً، فالزمن يتلون هنا بلون الحالة الوجدانية التي تستولي علينا .. [2]

ان شتى أنواع الحالات الوجدانية وضروب المعاناة الإنسانية تختزنها الذاكرة البشرية، ولذلك نجد ان جميع النظريات السيكولوجية عمدت الى التشديد على العلاقة الصحيحة بين الذاكرة والزمن [3]

لذلك نرى الذاكرة تتكون في زمن مفتكر به حقاً في زمن تواتري وعليه تبدو الذاكرة مستنيرة بالخيارات ، مؤكدة ذاتها في إطاراتها وليس في مادتها ، إنها تمارس التخطي الزمني للفعل ألتبايني ، وبكلام آخر نستذكر فعلاً بشكل اشد تأكيدا حين نربطه بما يليه وأكثر مما يكون الأمر حين نربطه بما يسبقه [4] ان الزمن الداخلي (النفسي) لا يضيع أبدا، فهو يطبع آثاره في الذاكرة ، وهو صورة حية من صور النفس حين تجيش بالأحاسيس والأوهام ، والخيالات انه عملية تكديس الماضي الذي يتراكم فوق الماضي ، ويستمر على هذا النحو دون تراخ او كسل [5].

---

1. الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة :ص135.

2. ينظر م . ن : ص36.

3. ينظر الزمن في الأدب ، ص49.

4. جدلية الزمن ، غاستون باشلار ، ص60 –61 ، تر: خليل احمد خليل، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،ط2، 1988م .

5. ينظر الزمن التراجيدي، ص35 .